باب التقريظ والانتقاد

دير طورسينا

اهدى الينا صاحب السعادة اللواء احمد شفيق باشا مدير مصلحة الحدود المصرية نسخة مطبوعة من المذكرات التي دونها في رحلة رحلها بالسيارات الى شبه جزيرة سينا في شهر يناير سنة ١٩٢٦ ولدى مطالعتها وجدناها حافلة بالحقائق الجغرافية والتاريخية التي يتشوّق القرّاء الى معرفتها فاقتطفنا منها بضع فقرات مما اورده المؤلف في وصف دير طورسينا المشهور وتاريخه . قال

«كان في انتظارنا على باب الدير نحو ٢٠ قسيساً وراهباً بملابسهم الكهنوتية فلما تقدمنا اليهم حيينا فردوا تحيتنا باطلاق مدفع من داخل الدير ودقت اجراس الدير جميعها ترحيباً بنا وقابلنا حضرة الاب الرئيس بمزيد الاحتفاء والاكرام في غرفته الخاصة وقدموا لنا الحلوى والمرطبات وبعدان تناولنا القهوة سار بنا الاب بوليكربوس وارشدنا الى الغرف التي خصصت لراحتنا ونومنا وقد اعطاني الغرفة المخصصة عادة لنيافة المطران عند زيارته للدير وقد اوصى بها قبل قيامنا من مصر وسبق ان نام فيها اللورد اللنبي عند زيارته للدير وكان قد اتى الى الدير ممتطياً جواداً و يرافقهُ حرس من الهجانة التابعة للحدود . وجميع هذه الغرف مفروشة برياش كامل ومستوفاة شروط الراحة

«ولما كنت اول مصري نال شرف تقلد وظيفة مدير عام لهذه المصلحة (اي مصلحة الحدود المصرية) فقد كنت ايضاً اول من اسعدهُ الحظ بقطع وديان وفيافي سينا والوصول الى ديرها التاريخي العظيم بالسيارات ولذا كانت دهشة الرهبان الذين قضوا ايام حياتهم في هذه العزلة عظيمة لما شاهدوا السيارات لاول مرة ولذلك طلبوا مني في اثناء اقامتنا في الدير ان اسمح لهم بركوبها قليلاً في الوادي فلبيت مطلبهم وسرّوا جداً بهذه النزهة الصغيرة

«بني هذا الدير في ايام الامبراطور البيزنطي يوستينيانوس معقلاً للرهبان ليقيهم شر غزوات عربان البادية وكذا عبيد البجة (ومن سلالتهم البشاريون سكان شرقي اسوان

وبلاد النوبة في ايامنا هذه) الذين كانوا يعبرون الى سينا للغزو من صحراء مصر الشرقية. وعلى باب الدير لوحة من الرخام نقش عليها في ستة اسطر اسم بانيء الدير وتاريخ بنائهِ بالعربية وهذا نص النقش العربي : « انشأ دير طورسينا وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجي عفو مولاهُ الملك المهذب الرومي المذهب يوستنيانوس تذكاراً لهُ ولزوجته تاوضوره على مرور الزمان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتم بناؤهُ بعد ثلاثين سنة من ملكهِ ونصب لهُ رئيساً اسمهُ ضولاس — جرى ذلك سنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ المسيح سنة ٥٢٧ » . ويعتقد الرهبان في حسابهم الزمني على الاوقات العربية

«والمعلوم ان هذه اللوحة ولوحة اخرى باليونانية لم ارها كانتا قد وضعتا على باب الدير عند فتحهِ في الارجح في القرن الثاني عشر او الثالث عشر — ولما كان ملك يوستينيانوس قد دام من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ م وبما ان الدير كما ذكر على اللوحة تم بناؤهُ بعد ٣٠ سنة من ملكهِ فيكون ذلك في سنة ٥٥٧ م ولكن مؤرخي الدير يرجحون لاعتبارات شتى ان الدير تم بناؤهُ حوالي سنة ٥٤٥ م وهو للروم الارثوذكس كما تقدم ورهبانهُ تابعون للحكومة المحلية

«اما الكنيسة فلها باب خشبي اثري قديم لهُ اربعة مصاريع تنفتح على نفسها وسقفها قائم على ستة عشر عموداً من الجرانيت على الطراز البيزنطي وارض الكنيسة منقوشة بالرخام البورفير والجرانيت الذي يوجد منهُ في جبال الغردقة حيث منابع البترول الآن على شاطىء البحر الاحمر الغربي حيث كان يوجد محجر تقطع منهُ الاحجار وترسل الى روما قديماً. وفيها ثماني ثريات من الفضة الخالصة مهداة من الملوك الى الدير في كل منها ست عشرة شمعة ورأيت اربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر مركب عليها شمعات قديمة يقرأ عليها تاريخ سنة ١٧١٩ ونقش على الشمعدانات هذه العبارة بالانجيلية "Matthen Bleyll Nurnbery, 1719"

«فيستدل من التاريخين ان عمر الشمعدانات وشمعاتها مائتان وسبع سنوات. وتوجد هدية ثمينة اثرية منها مركب من فضة صغير الحجم بجهازهِ ومقاذيفهِ مهدى من احد السياح الذي كان على وشك الغرق في البحر الاحمر ونذر للقديسة كترينا اذا نجا من ظلمات البحر ان يهدي اليها مركباً من فضة وهو هذا . والهدايا كثيرة منها ما هو صور دينية ومنها ما هو قناديل فضية مموهة بالذهب وغير ذلك مما يملأ حصرهُ المجلدات الضخمة

«وبعد انتهاء الصلاة طفنا بكنيسة الدير ودخلنا هيكلها وهو من ادق ما صنع وهو

محلى بالرخام المجزع المتناسق الشكل وفي جنبيه صور الانبياء والرسل قبل سيدنا موسى وبعده عليهم صلاة الله وسلامه وهم ايليا وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان ويعقوب الرسول ومار يوسف ويوشع وجميعها مصورة بالفسيفساء ببراعة عظيمة ورأينا بجانب الهيكل الى يسار الداخل من بابه الشمالي رخامة تدل على ان هناك قبر القديس افتيموس بطريرك اورشليم المتوفى في سنة ١٧٢٢ ثم انتقلنا الى المكان المقدس على اليمين ولعله مكان المليقة المشتملة التي ورد ذكرها في التوراة وفي القرآن الكريم . . .

« ثم خرجنا من حرم الكنيسة لزيارة باقي ملحقات الدير وقيل ان عددها اكثر من مائة وخمسين ما بين مخزن وغرف سكنى ومنافع مختلفة وزرنا ايضاً جميع غرف الرهبان وقد اتفق وجود احدهم في غرفته عند دخولي اليها فقابلني ببشاشة وقدم لي سبحة عادية وجوزة (عين جمل) فقبلتها منه شاكراً

«ومن الابنية التي داخل سور الدير طاحونان يشتغلان ليلاً ونهاراً لطحن القمح بواسطة البغال وبجوار الطواحين مخزن عظيم ومحل لغسيل القمح وتنظيفه . . . ويوجد فرنان كبيران للخبز يقال ان الواحد منهما يسع ثمانمائة رغيف من نوع الارغفة الكبيرة التي تخبز لطعام الرهبان حيث ان الخبز يصنع من نوعين نوع ارغفته كبيرة من طحين مغربل ونظيف يعطى للزوار والرهبان ونوع آخر ارغفته صغيرة مستديرة تصنع من طحين غير مغربل جيداً يوزع منه على الخدم وعلى الوافدين على الدير من البدو

«ويوزع عادة على العربان الذين يفدون على الدير خبز يوماً بعد يوم ما يعادل مقدار ثلاثة وثلاثين كيلة مصرية كل مرة وقد تصادف حصول توزيع ثاني يوم وصولنا فرأينا ان الرجل يعطى خمسة ارغفة ونصيب المرأة والولد والطفل حتى لو كان رضيعاً على صدر امه ثلاثة ارغفة لكل منهم — اما حطب الوقود فيأتي به العرب من الوديان القريبة للدير حيث يوجد بكثرة واكثره من نبات الشيح على التواعد وقد عمل الدير ثاني يوم حضورنا وليمة للعرب اكراماً لقدومنا طبخ فيها العدس والارز

« وللدير معصرة من الحديد شبه مكبس لعصر الزيتون بعد هرسه على مهرسة تشبه طواحين الجبس المستعملة في مصر واما المعصرة فتدار بالايدي وهي تقرب شكلاً من معاصر سيوى المصنوعة من الخشب

وفي الدير نحو من ٢١ راهباً ولهم محلات خاصة للسكنى داخل السور في الجناح الشرقي وقبو للمائدة فيه مائدة كبيرة تكفي لاثنين واربعين شخصاً ولكل واحد درج خاص

يضع فيه لوازمهُ . وتزين غرفة المائدة هذه صور ونقوش دينية على جوانبها . وللدير سور عظيم يبلغ متوسط ارتفاعهُ خمسة عشر متراً وسمكهُ نحو مترين وربع وهو على شكل مربع مستطيل يبلغ طولهُ نحو المائتين متر وعرضهُ مائتا متر وهو مبني من حجر الجرانيت المنحوت المستخرج من محجر قريب من الدير . ويعلو السور مزاغل ركب عليها ستة مدافع نحاسية صغيرة تدلك من فوهتها وقطرها ستتيمتران ونصف وهي من القدم طراز طولها نحو قدمان ويقال انها من عهد السلطان سليم العثماني الاول وكان قد قدمها للرهبان لحماية الدير . وقد اعدت اليهم السلطات العسكرية البريطانية في اواخر الحرب الكبرى اربعة مدافع كروب قطر فوهة الواحد منها ستة سنتيمترات وهي بحالة جيدة وقابلة للاستعمال ولم يوجد لها ذخيرة لديهم ولم تستعمل اما المدافع القديمة فتطلق الآن في ايام الاعياد والمواسم اعلاناً لها

«وقد كان للدير حرس عينهُ له الامبراطور يوستينيانوس من الفلاخ سكان شواطئ البحر الاسود ويعرف سلالة هؤلاء الآن بعرب الجبالية نسبة لجبل موسى حيث يسكنون ومنهم خدم الدير واغلبهم يتكلمون اليونانية لكثرة اختلاطهم بالرهبان ولكنهم يدينون بالاسلام منذ عهد طويل . ومرفوع على الدير راية بيضاء مكتوب عليها حرفان A. K. وهما الحرفان الاولان من العبارة اليونانية « اجيا كاترينا » او القديسة كاترينا . ويوم وصولنا كان مرفوعاً علم الدولة المصرية »

وجدنا لو اتسع المقام لاقتطف من هذه المذكرات النفيسة اكثر مما تقدم . وهي مطبوعة طبعاً متقناً بالمطبعة الاميركية وثمن النسخة مائة مليم

الاعلام

وهو قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وضعهُ في اربعة اجزاء الشاعر والاديب المشهور خير الدين افندي الزركلي صاحب المطبعة العربية بمصر . وقد انجز الآن طبع الجزء الاول الذي بين يدينا وقدم لهُ مقدمة تدل باسلوبها وروحها على الغاية من الكتاب والخطة التي اختطها لهُ المؤلف قال :

«في الخزانة العربية فراغ ، وفي انفس قرائها حاجة ، وللعصر اقتضاء :

« يعوز الخزانة العربية كتابٌ يضمّ شتات ما فيها من كتب التراجم ، مخطوطها ومطبوعها ، قديمها وحديثها

«و يتطلب قراؤها كتاباً يعرّفهم بمن اجتازوا مرحلة الحياة وخلفوا اثراً يذكر لهم او خبراً يروى عنهم ، من أصول الامة العربية وفروعها

«و يقتضي العصر الذي نعيش فيه ان يكون لنا كتب يجتزئ بها العجل منا عن مطولات السير وضخام اسفارها

«وقد حاولت بهذا الكتاب ان املأ جانباً صغيراً من ذلك الفراغ، واقضي بعض تلك الحاجة ، واقوم بشيء مما يقتضيه العصر ، وعساي ان اوفق

«كان من اماني النفس وضع كتاب يتناول بالذكر كل من عرض له خبر ، او دوّن له اسم في تاريخ العرب والمستعربين ، من جاهليين واسلاميين ، متقدمين ومتأخرين ، غير اني رأيت في ذلك عبئاً لا ينهض به الفرد ، وميداناً يقصر عن اقتحامه الجهد ، فاكتفيت باشهر الرجال والنساء ذكراً ، واثبتهم في صحيفة الاجيال عملاً . وتعمدت الايجاز ما استطعت . ولم أتعرض للاحياء من المعاصرين مخافة الوقوع في مالا احمد ، والانسان قد يتغير . واثبت تراجم طائفة من المتأخرين قد أكون اهملت كثيراً من طبقتهم من المتقدمين ، ثقةً بأن كتب المؤرخين مفعمة بأخبار هؤلاء ، وحرصاً على استيفاء ما لم يُدوّن من سير اولئك

«وجعلت ميزان الاختيار ان يكون لصاحب الترجمة علم تشهد به تصانيفه ، او خلافة او مُلك او إمارة ، او منصب رفيع — كوزارة او قضاء — كان له فيه اثر يحمد ، او رياسة مذهب ، او فنٌ يمتاز به ، او اثر في العمران يذكر له ، او شعر ، او مكانة يتردد بها اسمه ، او رواية كثيرة ، او ان يكون اصل نسب ، او مضرب مثل . وضابط ذلك كله: ان يكون ممن يتردد ذكرهم ويُسأل عنهم

«أما من اعتدى عليه بعض مؤرخينا نعوت التمجيد وصفات الثناء إغداقاً ، كما صنع أصحاب «الريحانة» و «اليتيمة» و «السلافة» و «سلك الدرر» وعشرات اشباههم ، من اطرائهم قائل بيتين واهيين من المنظوم بمالا يُطري به صاحب ديوان من الشعر ، ورصّهم صفات الامامة والعلم والهداية والتشريع لراوي حديث أو حديثين ، او لمتفقه لم تُسفر حياته عن أكثر من حلقة وعظ تغصّ المعابد بأمثالها كل يوم — فقد تعمدت إهمال ذكرهم اجتنابا للاطالة على غير ما جدوى ورغبة بالوقوف عند الحد الذي رسمته لنفسي في وضع هذا الكتاب

« وجاء دور الجاهليين ، فراعني من بعض المعاصرين إقدامهم على تاريخ وفياتهم ،

جازمين مطلقين ، غير متردّدين ولا مقيّدين ، في حين ان جاهلية العرب وما انطوت عليهِ من حضارة وبداوة ، ما برحت من اسرار التاريخ الغامضة ، لم يكشف حجابها تنقيب ، ولم يأتنا بنبأها علم . وما استنتاج المعتمد على الانساب واخبار الاعراب إلاّ ضرب من الحدس والتخمين . والتاريخ لا مجال للظنون فيهِ او يفسد و يختلط حابلهُ بنابله

ذلك ما اضطرني الى التنبيه حيناً بلفظ « نحو » والى اغفال التاريخ احياناً

«أما وقد مضيت في ما شرعت بهِ ، فما عليَّ لتكون الخدمة خالصة للعلم ، الاّ ان التمس ممن حذقوا التاريخ ، ومارسوا لبابهُ من قشورهِ ، وكان لهم من الغيرة عليهِ ما يحفزهم الى الاخذ بيدو ، ان يتناولوا الكتاب ، متصفحين ، متفضلين ، بنقد خطاهُ وعدل عوجه ، و بيان ما يبدو لهم من مواطن ضعفه . وقديماً قال ابراهيم الصولي : المتصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل فيهِ من منشئه

ولد طبع الكتاب بالمطبعة العربية بشارع المزين بالموسكي مصر

علم الطبيعة

نشوءُ ورقيّهُ الحديث

تأليف مصطفى نظيف استاذ علم الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا

ان المباحث العلمية اذا اقترنت ببحث تاريخي يتناول نشوءها وتدرجها تصير اوقع في النفس واسهل في الحفظ وهذا ما جرى عليهِ المؤلف في هذا الكتاب النفيس الذي نلقبهُ بحق كتاب الشهر بعد ما رأيناهُ فيهِ من البسط والشمول والتدقيق، فاننا لم نرَ في العربية حتى الآن كتاباً يضارعهُ . واذا كان الطلبة في مدرسة المعلمين العليا يتناولون مباحث هذا الكتاب ويدركونها حق الادراك ولاسيما المباحث الكهربائية الحديثة فيكونون قد بلغوا درجة عالية في الاستعداد لفهم العلوم الطبيعية

وكنا نود لو كثرت الرسوم في هذا الكتاب لان النظر اليها يساعد فهم الشرح ولو أُلحق بفهرس آخر رتبت فيهِ موادهُ حسب حروف المعجم لتسهل مراجعتها وان يطبع في رأس كل صفحة موضوع الصفحة . وحبذا لو اتبع الكتّاب كلهم في كتابة الكتاب العلمية صيغة واحدة سواء كانت مترجمة او معربة حتى يسهل على ابن الشام وابن العراق مثلاً ان يقرأ كتاباً انشئ في مصر كأنهُ انشئ في الشام او في العراق

والكتاب كبير فيهِ نحو ٤٤٠ صفحة كبيرة بحرف دقيق وثمنهُ ٣٥ غرشاً

نبوليون

تأليف هربرت فشر وزير معارف انكلترا سابقاً وترجمة محمد توفيق مدير التعليم في مجلس مديرية الغربية ومحمد مصطفى زيادة مدرس بالمدرسة العباسية الثانوية

المحترم هربرت البرت لورنس فشر تولى وزارة المعارف لما كانت مجلساً سنة ١٩١٦ وهو من اشهر الباحثين في المواضيع التاريخية وله كتب اخرى كثيرة ومنها كتاب موضوعه دروس في السياسة النابوليونية

وقد احسن المترجمان في وصفهما الكتاب الذي ترجماه بقولهما انه «من الكتب التاريخية التي ألفت عن نبوليون بالطريقة العلمية الخالصة التي تحلل الوقائع السابقة وتبني عليها حقائق تلتها وتستنبط منها وقائع لحقتها . وهذا الكتاب مع صغر حجمه نقرأ في صحائفه تاريخ نبوليون فتى وشيخاً واذا هو بين الطالين رجل الدنيا وواحدها فنقف على آثاره الجلى في تاريخ العالم » الى ان قالا ان الذي حملهما على ترجمة هذا الكتاب هو حرصهما على ان يكون بين ايدي قراء العربية كتاب يشرح جزءاً فذاً من تاريخ اوربا في القرن التاسع عشر. وانهما توخيا في الترجمة كل عناية ودقة فخرج كتابهما العربي مرآة صادقة للاصل الانكليزي وان اسلوب المؤلف الموجز حملهما على شرح كثير من النقط بالحواشي

الادب الجاهلي

وضع الدكتور طه حسين كتابهُ « في الشعر الجاهلي» وغرضهُ منهُ عملي محض وبحث فيهِ بحثاً علمياً واقام الادلة على ان الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية موضوع كلهُ او اكثرهُ فقام عليهِ فريقان من المنتقدين الواحد قال ان ادلتهُ غير كافية لاثبات ما اراد اثباتهُ وان الادلة على ضد ما اراد اقوى من ادلتهِ . والثاني خطأهُ لانهُ ذكر اموراً ماسة بالشائر الدينية ورفعت المسألة الى القضاء المصري فايد حرية البحث العلمي ولكن صودرت نسخ الكتاب لان مؤلفهُ ذكر فيهِ اموراً فُهمت على غير ما قصدهُ واعاد طبعهُ بعد ان حذف منهُ ما حسبهُ ماساً بالعقائد الدينية وتوسع في ادلتهِ واضاف اليهِ فصولاً جديدة فبيّن مثلاً ان لغة حمير غير عربية مضر وذكر امثلة منها تؤيد قولهُ . وكذلك فالاشعار العربية المنسوبة الى التبابعة ورجالهم موضوعة لانها ليست بلغتهم. وعقد فصلاً لحرية البحث العلمي قال فيهِ « انا اريد ان ادرس تاريخ الآداب في حرية وشرف كما يدرس صاحب العلم الطبيعي علم الحيوان والنبات لا اخشى في هذا الدرس اي سلطان . وانا اريد ان يكون

شأن اللغة والاداب شأن العلوم التي ظفرت بحريتها واستقلت بها من قبل والتي اعترفت لها كل السلطات بحقها في الحرية والاستقلال . اتظن ان في مصر مثلاً سلطة تستطيع ان تعرض لكلية الطب او كلية العلوم وما يدرَّس فيهما من مذاهب التطور والنشوء والارتقاء وما الى ذلك . كلاَّ لان هذه العلوم قد استقلت وحملت السلطات في العالم كلهِ على ان تعترف لها بالاستقلال »

والطبعة الجديدة من هذا الكتاب تقع في ٣٧٥ صفحة كبيرة كقطع المقتطف وانا نكرر الشكر لمؤلفهِ لانهُ فتح بهِ باباً جديداً للبحث الحر لانهُ بغير هذا النوع من البحث لا يكون عندنا علم بل نبقى مقلدين كما كان اكثر اسلافنا

سعادة المرأة

لا شك ان العناية بالبيت وترتيبهِ ونظافتهِ وراحة سكانهِ من امتن الدعائم التي تقوم عليها سعادة المرأة . ولكن للسعادة اركاناً اخرى غير معرفة طرق الطبخ والكنس والغسل والترتيب ولذلك كنا نفضل ان يطلق على هذا الكتاب اسم « تدبير المنزل » بدلاً من « سعادة المرأة » لانهُ ادلُّ على مضمونهِ

فالقسم الاول من هذا الكتاب يحتوي على حقائق كثيرة تتعلق بالطعام وهو ابواب منها باب في الطهي العربي وآخر في الحلوى الافرنجية وآخر في طهي الخضراوات على الطريقة العربية وآخر في انواع السلطة والمخلَّل وغيرها . والقسم الثاني يتناول موضوع الغسيل والتنظيف والكي و يليهِ فصول تدور على الاقتصاد وتدوين حساب المنزل

فعسى ان تستفيد ربات البيوت مما يشتمل عليهِ هذا الكتاب من الحقائق العملية المفيدة

زراعة محاصيل الحقل المصرية

وضع هذا السفر النفيس عبد القادر افندي فؤاد المناسترلي استاذ الزراعة بمدرسة الزراعة العليا بمصر وقد توخى في وضعهِ غايتين الاولى فائدة الطالب الراغب في الشرح الوافي المنطقي لزراعة محاصيل الحقول المصرية وما يتبعها من المسائل والثاني فائدة الزراع المتطلعين الى الحصول على المعلومات الزراعية العملية والى الوقوف على بعض اصولها العلمية بعبارة بسيطة

والكتاب مسهب في ٧٢٦ صفحة من القطع الكبير وقد نشرنا منهُ في باب الزراعة فصلاً عن الارز واصنافهِ الزراعية في مصر